يعمل حارس احراج في رواية « في مواجهة الغابات » ، يحلم بالحرارة والضوء ، مما يفسر رمزيا انجذابه الى النار · ان الحلم الشخصي هنا يتحول الى حلم اجتماعي حين يكتشف البطل ان هذه الغابة اليافعة ، انما تخبيء في باطن ارضها اطلال قرية عربية· عندئذ ، وانطلاقا من تلك اللحظة تتخذ النار دلالتها الاجتماعية : احراق الغابة بهدف الكشف عن ماض مخبوء ، حقيقي ودال ·

من « السوبرمان » الى البطل السلبي

ان الادب الاسرائيلي ، في ارتباطه الزماني والمكاني ، يعطي في تطوره فرصة طيبة لتحليل العوامل الاجتماعية التي كانت ذات تأثير عليه ·

في اربعينات هذا القرن وخمسيناته ، تميز « ادب جيل البالماخ » خاصة بنوع من الواقعية الاشتراكية ، وبدا متشابها ـ على طريقته الخاصة ـ مع الادب الاميركي الذي ساد في سنوات العشرين ، وعرف باسم « ادب الفعل »· هنا ليس البطل شخصا متوحدا، بل هو فرد محاط بالناس وبالقيم · شخص مندمج في بيئته ـ كيبوتز في غالب الاحيان ـ يشارك اصدقاءه في حمل امل اجتماعي وقومي واحد · اما المشكلة الرئيسية التي يتصدى لها فتكمن في ضرورة المصالحة بين نظامين للقيم ، في الانجاز الاجتماعي (في المجتمع والعمل والحرب) وفي الانجاز الفردي (في الابداع الفني والحب والعائلة) · احيانا كان الهدفان يتناقضان ، وغالبا ما كان البطل مرغما على التضحية بعالمه الفردي على مذبح المجتمع ، الجماعة ، غير ان هذه التضحية نفسها كانت ترتبط باختيار قيم صحيحه ·· على الرغم من انه اختيار جزئي · وهكذا ، مثلا ، نرى في قصة موشي شامير « حتى الفجر » (ضمن مجموعة « نساء ينتظرون في الخارج » (١٩٥٢) ، بطلا مثقلا بعمله في الكيبوتز ينتهي به الامر الى تجاهل اسرته ، وزوجته وابنه · وعندما تترك زوجته الكيبوتز ، يراجع صاحبنا ضميره بشكل جدي فيكتشف خطأه ويلحق بها باحثا عنها في المدينة · مثل هذه الموضوعة تلوح لنا ، بشكل اكثر او اقل تعقيدا ، في عدد آخر من قصص هذا المؤلف نفسه ، وفي روايته المسماة « حدث في الحقول » (١٩٤٧) ، وكذلك في اعمال اهارون مجيد (١٩٥٧)، وناثان شاهام (١٩٦٠) ، وايغال موزنسون (١٩٤٦) وبارتوف (١٩٦٢) وغيرهم ···

ثمة نوع آخر من القصص ينتمي الى هذا الجيل نفسه ، ويحمل حبكة لا يكون فيها سبب الصراع داخليا بل خارجي : العدو ·· كما في رواية موشي شامير « بيديه » على سبيل المثال ، حيث يكون البطل مزيجا من سوبرمان الغرب الاميركي ومن مقاتل الصابرا · ان الحبكة تتألف هنا من سلسلة من الاحداث المتحلقة حول بنية متواترة : مهمة مستحيلة ، معركة صعبة ، امرأة محبوبة ينبغي انقاذها ··· الخ · ان امامنا ابطالا مختلفين يجربون قوتهم ويفشلون · لكن البطل الرئيسي ينجح بفضل مزاياه وشجاعته ومثابرته ، ويكسب وينقذ الوضع : ينقذ الكيبوتز ، والمرأة والشعب ·

ان رؤية العالم ـ حسب تعبير لوسيان غولدمان ايضا ـ التي يمكن استخلاصها من هذه الاعمال ، قريبة من رؤية المجموعة الاجتماعية ، ومن رؤية مقاتل البالماخ : الحلم الاشتراكي ـ الصهيوني ومعه على الارجح كل الاحلام الاخرى التي يمكن انجازها خلال الحرب والنضال والعمل · ولسوف تمضي عشرة اعوام قبل ان يبدأ الكتاب الاسرائيليون المميزون بطرح مسالة الثمن الهدام لانجاز مثل هذا الحلم على بساط البحث ·

الواقع ان الشاعرية المهيمنة في هذا الادب ، تتوافق تمام الموافقة مع هذه الرؤية